

لاهوت المرض

جان كلود لارشي

نقلته إلى العربية

د. روزيت جبور

تعاونية النور الأثوثوسية
للنشر والتوزيع م.م.

تعاونية النور الأوثوكسية للنشر والتوزيع م.م.
© جميع الحقوق محفوظة، بيروت ٢٠١٠

أيقونة الغلاف: السامري الشفوق

أنجزت مطبعة الينبوع طباعة هذا الكتاب
في ٢٥ آذار ٢٠١٠

مقدمة

موضوع المرض، وما يتأتى منه من آلام وموت، مطروح على الإنسان في كل حين. والأسئلة التالية قائمة على الدوام: ما هو سبب الأمراض؟ أهي من الله؟ لماذا يسمح الله بمثل هذه الآلام والأوجاع؟ لماذا يارب، لماذا؟! يفيدنا اللاهوت الأرثوذكسي أنّ الجهاد الروحي، أي النسك، هدفه بلوغ «الهدوء»، أي التحرر من الأهواء بمؤازرة نعمة الله، وتالياً عدم تسلط الوجد على الإنسان حتى في خضم آلام جسده.

المرض أو الموت ليس من صنع الله (الحكمة ١: ١٤) ومع ذلك فقد «ألبس الإنسان منذ البدء جسداً فاسداً قابلاً للمرض وللموت»: هذا ما قال القديس يوحنا الذهبي الفم، وذلك بسبب حرّيته. أمّا عدم الفساد أو عدم الموت في الفردوس، فهذا يعود إلى النعمة الإلهية.

أتت الأمراض نتيجة الخطيئة والعصيان، وجرّ الإنسان مع سقوطه تضعف الخليقة كلها. لم يرث الإنسان خطيئة آدم بحدّ ذاتها بل نتائجها. زد على ذلك خطيئتنا الشخصية، فأصبح كلٌّ منا مسؤولاً أمام الجميع، أمام كلِّ واحد وفي كلِّ شيء. بمجيء المسيح وآلامه وموته وقيامته، لم يلغ الموت الجسدي ولا الأمراض والأوجاع، لكنّه أعطانا القوّة لتحمل هذه الأوجاع على رجاء القيامة. بهذا المعنى أصبح الألم معبراً للفرح والموت معبراً للحياة.

يكشف المرض بؤس الإنسانية المنفصلة عن الله. لذا يمكننا أن نستخدمه فرصة لتقويم أنفسنا. فتصبح الآلام والأمراض واسطة للتطهير، للخلاص بنعمة المسيح. «بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله» (أعمال ١٤: ٢٢) بهذا يكون المرض مستخدماً لتمجيد الله، طريقاً للقداسة.

تؤكد الكنيسة أنّ المسيح هو طبيب النفوس والأجساد. والإنجيل يعلم أنّ المسيح يسعى دائماً إلى شفاء النفس والجسد، إلى شفاء الإنسان بكامله. الشفاء هذا

يتمّ من طريق الصلاة، من طريق مسحة الزيت المقدّس، وأيضاً من طريق الأطباء العلمانيّين، مع الإيمان الدائم بأن الله وحده هو في النهاية الشافي الحقيقيّ (راجع سي ٣٨: ١-٨).

نحن قائمون في سرّ المرض والموت، ولا نستطيع أن نسبر غوره. الحياة في المسيح توفّر لنا الدخول في سرّ جهاد التوبة. إذ يشركنا الربّ، من هذا الطريق، بنعمة غفرانه وقوّته الإلهية ويمدّ لنا يدّ العون في الأحزان والآلام فنصبر ونرجو القيامة، ونقول مع يوحنا الرائيّ «وسيمسح الله كلّ دمعة من عيونهم والموت لا يكون في ما بعد ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع في ما بعد» (رؤيا ٢١: ٤). في وسط آلام الجسد والنفس لنا أن تكون عيوننا شاخصةً، على الدوام، إلى ذلك اللّذي غلب الموت واللّذي بمقدوره أن يرفعنا معه، مقيمين فيه ومجدّين إيّاه بأجسادنا وأرواحنا على الدوام، آمين.

المطران افرام

متروبوليت طرابلس والكورة وتوابعهما

للروم الأرثوذكس

كلمة المعرب

ماذا يمكن أن يجيب الإنسان عن هذه الأسئلة التي طرحها سيادة المطران أفرام (كرياكوس)، في مقدمة هذا الكتاب. لماذا الألم يا رب، لماذا؟! ليس هناك من إنسان يستطيع أن يجيب عن هذا السؤال غير ذلك الذي اختبر الألم في حياته وعاشه. الألم رحلة، ومسيرة في الظاهر. الألم يخنق الجسد ويكبّله. في حين أنه يطهر النفس ويهدّب الروح، كما تفعل النار بالحديد. رغم أنّ الفكر السائد في مجتمعاتنا، وحتى في المجتمعات الأخرى، يرفض كلّ سوءٍ مسبّبٍ للألم الجسديّ أو حتّى النفسيّ، غير أنّه تغيب عن ذهنيّة المرضى أهميّة هذه الآلام في حياتهم ومدى منفعتها الروحيّة لهم، وللأشخاص المحيطين بهم.

أليس الإنسان المتألم «إنساناً مستنيراً»، كما شهد سيادة المطران جاورجيوس (خضر)، عندما تحدّث في مقالة له عن امرأة عانت الآلام الكثيرة بفعل المرض، ومن ثمّ مات ابنها في ريعان الشباب، فاكتمت فضائل روحيّة هدّبت روحها وجعلت فكرها مستنيراً. الإنسان الحامل في جسده أمراضاً كثيرة، شبيه بالمسيح المتألم على الصليب، بالنسك المجاهدين الذين يصارعون الأهواء العديدة، كاليأس والتذمّر والكفر بالله، اللهمّ إذا عرفوا كيف يستغلّون مثل هذه الفرصة الذهبيّة، لكي يرتفعوا ويرتقوا أسمى الفضائل الروحيّة كالصلاة والسلام والهدوء، سبيلاً إلى الاستنارة واكتساب النعمة الإلهيّة.

سبب الألم في الطبّ في أغلب الأحيان معروف، وعلاجه ممكن. إلّا أنّ هناك بعض الحالات التي يعجز فيها الطبّ عن إيضاح الأسباب الرئيسيّة للألم، فيقف الطبيب أمام المريض حائراً عاجزاً عن التفسير. هنا يأتي السؤال: ما هو دور الخطيئة، وما هو دور الشيطان، في السيطرة على جسد الإنسان من أجل تجريحه واستعباده وإبعاده عن ربّه، إذا سُحّت له الفرصة؟ ألم يفرض الشيطان أمراضاً مستعصية على جسد القديس الكثير الجهاد أيّوب بسمّاحٍ من الله لكي يجربّه. أمّا النتيجة فكانت أنّه

بفضل هذه الآلام الكثيرة برز إيمان هذا الأخير بإلهه، والرجاء بأنه سوف يخلصه من جميع هذه الأسواء، شاكراً إياه، كما في أفراحه، على بلاياه الكثيرة. نعم، الشيطان يتدخل أحياناً بسماع من الله، في حياة المؤمن، ويتسلط مرةً على جسده، وأخرى على نفسه من جرّاء حسده غير المتناهي، لكنّه يتقهقر عندما يواجه قامات روحية تقف له بالمرصاد، تصعقه بأسلحة روحية كالرجاء بالله والصلاة والصبر، متيقنة أنّ الله المخلص سيضيء ظلمة المتعبين وحاملي الأثقال، وسيرشدهم إلى سبيل أفضل، حيث تستكين الروح وتستريح في فردوس النعيم.

شدّد الدكتور جان كلود لارشي في كتابه على نقاط عدّة: في الفصل الأوّل ذكر جذور الخطيئة في العالم الساقط، وتأثيره على الصحة الجسدية والشفاء بالمسيح المتجسد. في الفصل الثاني، أبرز الفضائل المكتسبة من جرّاء احتمال الآلام، وخصوصاً الصبر والصلاة. وأخيراً ختم بالفصل الثالث حيث بين كيفية تمجيد الله عبر الشفاء والعلاج، مشدداً على الأساليب الروحية الكنسية المساعدة للطب، كالصلاة ومسحة الزيت والأسرار الأخرى.

حاول الدكتور لارشي عبر هذا العمل أن يُظهر الوجه الروحيّ، الآخر والمساعد على تفسير المرض، وكيفية علاجه في مجتمع كثرت فيه الأبحاث والتطوّرات الطبيّة. السؤال يكمن دائماً في أين هو دور الله في كلّ هذا؟

أريد أن أشكر بعض الأشخاص الذين ساعدوا على إنجاز هذا العمل الروحيّ، كالسيّدة ميند بيرسون من كنيسة القديس جاورجيوس اليونانية في الولايات المتّحدة الأميركيّة، التي كانت أوّل من زرعت فكرة تعريب هذا الكتاب في ذهني. وأشكر أيضاً أشخاصاً آخرين عملوا على تنقيح اللغة كالأخت لولو صبيعة والأخت ميشلين صوّان والسيّدة ناديا البجاني.

كما أتوجّه بالشكر إلى سيادة المطران أفرام (كرياكوس) الذي احتضن هذا المشروع من أجل المنفعة الروحية، متمنية إلى الله أن يطيل بعمره، ويعطيه القوة لكي

يستمرّ في مسيرته الروحية مرشداً النفوس المتعطشة إلى الميناء الأمين، ويظلّ إشعاعاً
ومنارةً قابضةً في أبرشيّته لاصطياد النفوس للمسيح.
إلّا أنّ الفضل والشكر دائماً يكون، في الأوّل والأخير، لله الذي هو مصدر كلّ
المواهب والفضائل، التي نكتسبها في مسيرتنا الوقتية على هذه الأرض، عسانا
نستأهل أن نرث الملك الآتي ونعيش مع الربّ في ملكوته إلى الدهر.

الفهرس

٥	مقدمة
٧	كلمة المعرب
١١	الفصل الأول: العودة إلى مصدر المرض
١٣	الكمال الأصليّ
١٩	السبب الأوّل للمرض: الخطيئة الأصليّة
٢٥	هل الناس مسؤولون من الأمراض التي تصيبهم؟
٣١	شفاء طبيعة الانسان عبر تجسّد الكلمة
٣٣	لماذا يبقى المرض قائماً؟
٤١	أسقام الجسد وأسقام النفس
٤٥	هشاشة الصحة
٤٧	هوامش الفصل الأول
٦٩	الفصل الثاني: المرض ومعناه الروحيّ
٧١	الالتباس في مفهومَي الصحة والمرض
٧٣	المرض والألم في معناهما الإيجابيّ
٧٧	تجلّي العناية الإلهيّة
٨١	فرصة للنموّ الروحيّ
٨٥	مساعدة الربّ ومساهمة الإنسان
٨٧	أهميّة الصبر
٨٩	الدور الرئيس للصلاة

٩٣	طريقة القداسة
٩٥	هوامش الفصل الثاني
١٠٣	الفصل الثالث: وسائل مسيحية للشفاء
١٠٥	الشفاء في سبيل تمجيد الله
١٠٩	المسيح الطبيب
١١١	القديسون يشفون باسم المسيح
١١٣	طرائق روحية للشفاء
١١٣	الصلاة
١١٤	صلاة القريب
١١٥	صلاة القديسين
١١٦	موهبة الشفاء: طبيعتها وحدودها
١١٩	المسح بالزيت المقدس
١٢٣	استخدام الماء المقدس
١٢٥	إشارة الصليب
١٢٥	التعزيز (طرد الأرواح): عمله ومعناه
١٣١	تدخل الطبّ الدنيويّ
١٣٥	مواقف متطرّفة
١٣٩	المفهوم الروحيّ للعلاجات الدنيويّة الذي تبرّر عندما تُنسب إلى الله
١٤١	من الله يأتي الشفاء
١٤٣	حدود الطبّ
١٤٧	يجب الاهتمام أيضاً بشفاء النفس

١٤٩	شفاء الجسد يرمز إلى شفاء الروحيّ لكيان الإنسان ويدلّ عليه
١٥١	أمراض النفس أشدّ خطورة من أمراض الجسد
١٥٣	نسبيّة صحّة الجسد
١٥٣	وعد بعدم الفساد وعدم الموت الآتيين
١٥٤	أتى المسيح ليخلص الجسد أيضاً
١٥٧	هوامش الفصل الثالث
١٨٣	الفهرس